

## الحرية

*"قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم ."<sup>1</sup>*

لقد غرست السيادة في الإنسان منذ تكوينه . وفي السيادة هذه نقرأ عنواناً للملوكية الحرة . وفي عمق الملوكية الحرة المتسلطة ، إذا استطعنا أن نرى أصالة الحب ، ندرك صورة الله الحقيقية التي عليها خلق الإنسان .

الحرية أغنية تُطرب أفئدة الكبار والصغار ، وكل واحد يسعى لها على طريقته الخاصة ، إنما قليلون هم الذين يسلكون طريقها هي ، لأنهم لا يعرفونها حق المعرفة . فإذا أردت أن تقتنيها ، عليك أن تعرفها ؛ وإذا ابتغيت معرفتها ، عليك أن تقرأها بين طيات قلبك حيث سطرها الخالق عندما أبدعك . اقرأها كما هي ، انظر إلى وجهها الحقيقي ، لا تغير ملامحها بحسب ما يوافقك ، لا ترفع عليها إزميلاً وتنحت فيها ما يناسبك ، لا تمزج ألوانها البريئة بألوان شهواتك ؛ فتضيع هدفك المبتغى ، لا تُسمعها ما تعرفه عنها ، بل استمع أنت إليها بطاعة لأنها لا تكذب ، فهي تعودك إلى الله إن امتطيتها بأمانة .

إذا كانت شهواتك أن تتسلط ، تعوزك الحرية الحقائبة ، لأن العبد لا يملك ، بل يبقى مملوكاً . العبودية لا تسعى بنفسها إليك ، بل أنت من يركض إليها ، لأنك لم تتعلم بعد أن تقرأ الحرية . تمدّ يديك إلى العبودية فتكبلك ، تفتح لها قلبك فتأسرك ، تقترب منها فتهدمك ، تقدم لها حياتك فتقتلك ...

الخطيئة هي قوة العبودية ، والتكبر هو عمقها ، والبغض هو خلودها ؛ فكيف تصل إلى الحرية وأنت مكبل بسلاسل العبودية ؟ كيف ترتقي سدة الملك ورجلاك مشدودتان إلى

<sup>1</sup> تكوين 1 : 26 - 27

الخطيئة ؟ كيف تتسلط وأنت تعلي عرش سجون البغضاء ؟ كيف تحلق في سماء الحرية  
وأجنحتك قد كسرها الكبرياء ؟

أنت تدعي الحرية ، فيما أنت غارق في قعر لجة العبودية . أنت تدعي أن بإمكانك أن  
تفعل ما يحلو لك ، فيما أفعالك مضبوطة بمشيئة من يسودونك . أنت تدعي أنك تفكر وتعبّر  
بحرية ، والحقيقة هي أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا من خلال الصور الموحى إليك بها من  
مواليدك ... ؛ وإذا أدركت أن ضعفاتك هي أسيادك ، وشهواتك هي مواليدك ، تُدرك في أي قعر  
أنت غارق .

لا تستطيع أن تحلق في سماء الحرية إلا إذا اقتنيت جناحين قويين هما الحب والرحمة  
: الحب لله والرحمة لأخيك ، وجسداً خفيفاً من المعاصي مليئاً بالطهارة والعفاف . ولن تجد  
عرشك الضائع إلا إذا امتلكت قلباً فولاذياً ، لا تخترقه نبال الأعداء غير المنظورين ، قلباً ينبض  
بالتواضع والانسحاق .

الإنسان الحرّ هو الذي يعرف كيف " يحبّ الله من كلّ قلبه ومن كلّ فكره ومن كلّ قوّته  
ومن كلّ نفسه " . ومن يحبّ الله ، يُطع وصاياه ؛ فالطاعة المرصّعة بالحبّ تجعل منك ابناً لمن  
تطيع وليس عبداً . فإذا كان الله هو الملك ، فأنت إذاً ابن الملك ؛ وإذا كانت الرحمة سيّدتك  
، فحينئذ يكون في إصبعك خاتم الملك الذي هو الرحمة ؛ وإذا ابتغيت عرش الملوكية ، عليك  
أن تدرك أنّه لا يعتليه إلا المتواضع . أنت خلقت متسلّطاً على سائر المخلوقات سوى أخيك  
الإنسان . فإذا اتّشح قلبك بالتواضع والحبّ ، واتّزر بالانسحاق والرحمة ، وقتئذٍ فقط ترتبّع في  
قلب أخيك سلطاناً ، ولكن ليس وحدك ، بل مع الله المتعرّش هذا القلب قبلك .

إذاً ، عندما تتعلّم كيف تتطهّر من خطاياك بحبّك لله ، وكيف تقرّأ بعيون التواضع  
مقهورية إخوتك في وجوههم ، وتفيض على قلوبهم المجروحة بلسم رحمانيتك ، حينئذ تكون  
قد أصلحت تشوّه الصورة التي خلقت عليها ، فتصبح سيّداً حرّاً ، تسير على درب الألوهية ، تسير  
نحو الله . آمين .